

خلفيات التلقي المغربي للسانيات الغربية/ الفاسي الفهري أنموذجا.

أحلام بن بناجي¹

تاريخ النشر 2017/04/01	تاريخ القبول 2017/02/01	تاريخ الإرسال 2017/01/01
------------------------	-------------------------	--------------------------

الملخص:

إنّ الماضي قدما بالدرس اللساني العربي يعتمد بشكل كبير على وعي مسبق بما جادت به اللسانيات الغربية الحديثة، هذا من جهة ومن جهة أخرى الانفتاح على الدراسات العربية خاصة دراسات الباحثين الذين يتميزون بدنياميكية عالية في تناول اللسانيات الغربية وتطوير البحث فيها كما هو الحال مع الفاسي الفهري، الذي تعدّ أعماله من أهمّ المرجعيات العربية في اللسانيات. الكلمات المفتاحية: اللسانيات الغربية، الفاسي الفهري، المرجعيات العربية.

Résumé:

L'avancement du cours de linguistique arabe dépend essentiellement Sur la connaissance préalable de la linguistique occidentale moderne d'une part, et sur l'ouverture aux études arabes, en particulier les études des chercheurs qui ont une grande capacité dynamique dans le traitement linguistique occidentale et le développement de la recherche dans cette dernière. Comme le cas d'El FASSI FIHRI, ces travaux sont considérés comme des références arabes très importante en linguistique. **Mots clés** linguistique occidentale, El FASSI FIHRI, des références arabes .

مقدمة:

لقد شكّلت جهود العديد من اللسانيين العرب المحدثين والمعاصرين أرضية معرفية لتأسيس درس لساني عربي. من حيث مساهماتها في تطوير الدرس اللساني العربي من خلال سلسلة من الأبحاث والدراسات التي قام بها لسانيون من المشرق العربي كتمام حسّان، إبراهيم أنيس، مازن الوعر...، وكذا لسانيون من المغرب العربي كعبد الرحمان الحاج صالح، أحمد المتوكل، والفاسي الفهري وغيرهم ممن أسهموا في دفع عجلة تطوير البحث اللساني العربي في شقيه النظري والتطبيقي.

إنّ الماضي قدما بالدرس اللساني العربي يعتمد بشكل كبير على وعي مسبق بما جادت به اللسانيات الغربية الحديثة، هذا من جهة ومن جهة أخرى الانفتاح على الدراسات العربية خاصة دراسات الباحثين المتسمين بدنياميكية عالية في تناول اللسانيات الغربية وتطوير البحث فيها كما هو الحال مع الفاسي الفهري، الذي تعدّ أعمالهم من أهمّ المرجعيات العربية في اللسانيات.

¹ - أحلام بن بناجي

بناء على ما سبق سنحاول في مداخلتنا هذه معالجة قضية مهمة تتمثل في خلفيات التلقي اللساني الغربي لدى الفاسي الفهري وانعكاساته على الدرس اللساني العربي من خلال النظرية التوليدية التحويلية، منطلقين من الإشكالية الآتية:

ما هي الخلفيات المعرفية التي يقوم عليها التفكير اللساني عند الفاسي الفهري؟ وإلى أي مدى ساهمت جهوده في تطوير الدرس اللساني العربي؟.

عرفت الدراسات اللغوية العربية انفتاحا واسعا على اللسانيات الغربية بفضل جهود اللغويين العرب الذين كان لهم السبق في الاطلاع على مختلف الأعمال المقدمة في هذا المجال. وقد اختلفت آراء واتجاهات هؤلاء اللغويين فمنهم من كان محافظا متعصبا لما قدّمه النّحاة العرب القدماء، ومنهم من كان منبرا بالنظريات والمناهج اللسانية الغربية الحديثة، ومنهم من كان بين هذا وذاك محاولا الربط بين ما هو عربي و بين ما هو غربي بهدف تأسيس نظرية لسانية عربية كما هو الحال مع اللساني العربي المغربي عب القادر الفاسي الفهري.

1- التعريف بعبد القادر الفاسي الفهري:

عبد القادر الفاسي الفهري أستاذ وباحث مغربي في اللسانيات العربية المقارنة، شغل مناصب عدة منها¹:

❖ أستاذ التعليم العالي (كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط).

❖ عضو في عدد من المشاريع البحثية الوطنية، والعربية، والدولية.

❖ خبير لدى عدد من المؤسسات العربية، والدولية.

❖ من أهم مؤلفاته²:

❖ المعجم العربي.

❖ البناء الموازي.

❖ نظرات جديدة في قضايا اللغة العربية العربية.

❖ أما بخصوص المؤلفات باللغة الأجنبية:

❖ Linguistique arabe Forme et interprétation.

2- الخلفيات المعرفية التي يقوم عليها التفكير اللساني عند الفاسي الفهري:

يعدّ الفهري نموذجا للتلقي المغاربي للسانيات الغربية في العالم العربي من خلال اشتغاله على النظرية التوليدية التحويلية التي أرسى دعائمها اللساني الأمريكي نعوم تشومسكي سنة 1957 في مؤلف بعنوان "البنى التركيبية".

• النظرية التوليدية التحويلية:

يعدّ كتاب "البنى التركيبية" ثورة في مجال اللسانيات، مهدّ لظهور نظرية قامت دعائمها على نقد آراء البنوية والسلوكية³.

دعا تشومسكي من خلال هذه النظرية إلى تجاوز الحدود الشكلية البنوية أثناء التحليل، مركزا على سمة جوهرية هي الإبداعية، حي يقول سامسون بهذا الصدد: "...اهتمّ فيها بالقدرة الابداعية لدى المتكلّم، والتي تمكنه

من إنتاج وفهم جمل لا حدود لها. ودلّ ذلك بقدره الطفل على إنتاج جمل تحويلية صحيحة لم يسمع بها من قبل، كما تجعله قادرا على تمييز الجملة الصحيحة نحويا وذلك راجع إلى الملكة الفطرية⁴.

• أهمّ مفاهيمها:

إنّ المقام لا يسعنا هنا لعرض مفاهيم النظرية التوليدية التحويلية وشرحها بالشكل الموسّع لعدّة اعتبارات، لهذا سنحاول باختصار شديد بسط أهم ما جاءت به هذه النظرية من مفاهيم ومصطلحات جديدة حتّى نتمكن لاحقا من بيان كيف استطاع الفهري استغلال هذه النظرية وتطبيقها على اللغة العربية. يعدّ مصطلح التوليد من أهمّ المصطلحات التي تقوم عليها النظرية التوليدية التحويلية، والمقصود من خلاله قدرة المتكلّم على إنتاج وتوليد جمل لا حدّا لها. والجمل حسب هذه النظرية ضربان:

- جمل نواة: وهي الجمل الأساسية التي تمكّنا من صياغة جمل أخرى.
- جمل فرعية: وهي الجمل التي تصاغ من الجملة النواة بالاعتماد على خاصية الحذف، الاستبدال، الإضافة... إلخ، كما هو موضح في المثال الآتي:

- أكل الولد الطعام.

- الطعام أكله الولد.

- أكل الطعام⁵.

- البنية السطحية والبنية العميقة:

لقد اهتمّ التوليديون بدراسة الدلالة معتمدين في ذلك على مفهومي البنية السطحية والبنية العميقة، وحسبهم أنّ البنية السطحية هي تمثّل الصورة الشكلية/ التركيب الخطي للجمل، أمّا البنية العميقة فهي تمثّل الصورة الدلالية للجمل.

لقد أشار تشومسكي من خلال أعماله المتعلقة بالنموذج المعيار إلى الدلالة اللغوية، من خلال دراسته للمكوّن الدلالي، الذي عدّه أحد مستويات البنية العميقة وهو مرتبط بالمعجم، والقواعد.

تواصلت جهود تشومسكي من أجل إثراء نظريته التوليدية خاصة بعد التعديلات التي أجراها على نظريته، والتي سمّاها لاحقا نظرية المعيار الموسّعة، وهذه الأخير جاءت بدورها بمصطلحات ومفاهيم جديدة أهمّها: الدلالة التوليدية، والدلالة التأويلية.

لقد تبنى الفهري النظرية التوليدية التحويلية وحاول تطبيقها على اللغة العربية من خلال مؤلفات عدّة أبرزها اللسانيات واللغة العربية، حيث قامت هذه الدراسة على الآراء الآتية⁶:

- اللغة العربية لغة طبيعية خضعت لبنية التطور والتغير كسائر اللغات الأخرى.
- النحو العربي القديم غير صالح لوصف اللغة العربية على وضعها الراهن.
- نسبة الوصف النحوي القديم وعدم استيفائه لجميع صور الكلام المسموع.
- التشابه البنوي بين العربية وسائر لغات العالم باعتبارها لغة طبيعية.
- نقد المنهج الوصفي لعدم كفايته التفسيرية.

- نقد الوصفية العربية لجزئية نظرتها، وعدم تقديمها للبدائل اللسانية.
- ضرورة تأسيس لسانيات ظواهر للعربية يخض الاستدلال فيها إلى التجربة.
- 3- جهود الفهري في تطوير الدرس اللساني العربي:

لقد ساهم الفهري بشكل كبير في دفع عجلة تطور اللسانيات العربية من خلال مؤلفات عدّة في تخصصات مختلفة كالمعجمية، والسياسة اللغوية، واللسانيات العربية...إلخ. سنحاول تتبع هذه الإنتاجات العلمية من خلال بعض مؤلفاته، مع بيان مدى مساهمتها في إثراء الدرس اللساني العربي، والتي نوردتها على النحو الآتي:

أ- المعجمية:

يعدّ مجال المعجمية من أهم المجالات اللغوية، لما له من أهمية كبيرة في تأسيس التخصصات العلمية عامة واللسانية خاصة من حيث ضبط مصطلحاتها ومفاهيمها، ومن بين الدارسين الذين كانت لهم إسهامات في هذا المجال نجد الفهري الذي حاول من خلال دراسته للمعجم اللساني أن يرفع بعضاً من النقائص التي طالما حالت دون تطوير هذا التخصص.

يقول عبد الرحمان الحاج صالح بهذا الصدد: "يتّصف البحث العلمي في اللغة العربية في زمننا هذا بصفات جدّ سلبية، بالإضافة إلى ما يعرفه العصر من تكنولوجيا حديثة تطبق على البحوث اللغوية بنجاح تام في البلدان الراقية، ويعرف كلّ واحد البطء الذي يسير فيه وضع المصطلحات وإقرارها، وجرفية هذا العمل وفرديته، ومشكل ذبوع هذه المصطلحات في الاستعمال"⁷.

يقرّ الحاج صالح من خلال قوله هذا بواقع المعجم اللساني في الوطن العربي، هذا الأخير الذي يعاني عجزاً في مواكبة العصر رغم التطورات التكنولوجية الراهنة.

أكّد الفهري في دراسته للمعجم على ضرورة ربط المعجم بالنحو، وحسبه أنّ منهج المعجم لا يتّجه بالضرورة إلى دراسة قائمة من الكلمات تشمل على جميع ما يستعمله المجتمع اللغوي من مفردات كما يدّعي بعض اللغويين، فمن طبيعة هذه القائمة الضخمة التي هي بحوزة المجتمع في عمومها ألا يحيط بها فرد واحد من أفراد المجتمع مهم بلغ حرصه على استقصائه⁸.

كما دعا الفهري إلى اقتراض مستوا للتمثيل الذهني لكلّ المعلومات وهو ما اصطلح عليه بالبنية التصورية ، فالفصل بين المعلومات اللغوية التي تحملها المفردات (المعجم) وبين المعلومات غير اللغوية (المعارف) أمراً تجريبيّ لا يمكن تحديده إلاّ في إطار نظرية للدلالة المعجمية⁹.

كما أكّد على ضرورة التمييز بين المعجم والقاموس، حيث يقول في تعريفه للقاموس: "إنّه الصناعة، وهو الأداة التي تتوق إلى وصف المعجم (حصر المفردات ومعانيها) أيّ المخزون اللغوي المعرفي المتوفر عند متكلّم اللغة"¹⁰.

أمّا المعجم "فهو المخزون المفرداتي الذي يمثل جزء من قدرة المتكلّم- المستمع اللغوي"¹¹.

ب- الترجمة:

لقد تمكّن الفهري من خلال إطلاعه الواسع على والمعمق على النظريات اللسانية الغربية وكذا استعانتة بمجالات أخرى كعلم الاجتماع، وعلم النفس، والصوتيات... إلخ من ابتكار مصطلحات ومفاهيم جديد خاصة. حيث أنّه لم يستسغ ما ورد من ألفاظ في المعجم الموحد الصادر عن مكتب التنسيق والتعريب، وحسبه أنّ الكثير من المصطلحات كتب لها الشيع والانتشار ولكنّ التنسيق يبدو صعبا بحكم اختلاف تكوين مستعملي المصطلح ومرجعياتهم، ومنطلقاتهم في المنهجية والنظرية¹². كما كانت له جهود جبّارة في معالجة إشكاليات وقضايا عديدة تتعلق بالتعريب حيث استطاع تقديم بدائل في الجانبين انظري والتطبيقي.

• مؤلفات وإنتاجات الفهري اللغوية:

قدّم الفهري ثروة علمية كبيرة كان لها الدور الكبير في إثراء الدّراسات اللسانية العربية، وذلك من خلال سلسلة من المؤلّفات التي سنحاول بسط أهمها مع وصف موجز لما ورد في متنها.

• معجم المصطلحات اللسانية: (عربي، فرنسي، انجليزي)

المصطلح حسب الفهري هو معجم قطاعي مختص يفتر أن يغلق دلالات مفرداته أهل الاختصاص بالتواضع بغية فرز لغة واحدة وموحدة، حيث التنوع وانفتاح الدلالة وتوسّع المجاز سمة أساسية¹³. فهو يعدّ هذا المنتج محاولة متفردة في تمثّل لغة اصطلاحية ثلاثية تعبر المدارس المتنوعة والمفاهيم المتداخلة وغير المتزامنة حيث يقول: "المادة المعروضة تمثّل كتلة لا بأس بها من روافد المجال، وإن كنّا لا ندّعي أنّها تغطي المجال كاملا. والمصطلحات في توالد كمي وكيفي يدعو إلى المواكبة والمراجعة بالاستمرار، بيد أنّ حياة هذه المصطلحات فعلية عند أهل الاختصاص، كما أنّ الطلب عليها ملح عند الدّارسين ولباحثين في الغرب والشرق¹⁴.

• السياسة اللغوية في البلاد العربية:

بسّط الفهري من خلال مؤلفه هذا واقع اللغة العربية في فصل عنونه بـ: أوضاع اللغة العربية وتحدياتها، فحاول تحري وتبّع القضية من خلال معالجته لإشكاليات عديدة كالازدواجية اللغوية، واقع السياسة اللغوية في البلاد العربية... إلخ.

كما حاول الوقوف عند الأنظمة السياسية في فصل عنونه بـ: البيئة والسياسة وصنع القرار اللغوي الديمقراطي، وغايته في ذلك إيجاد نظام سياسي أمثل لسياسة لغوية ديمقراطية. كما عالج قضية جوهرية تتعلق باستمرارية اللغة العربية والتحديات التي تواجهها.

• اللسانيات واللغة العربية:

وصف الفهري من خلال هذا المؤلّف واقع اللغة العربية من حيث استعمالها وطرق تعلمها، فحسبه أنّ اللغة العربية لم تلق حظها من الدّراسة والبحث كمثيلاتها من اللغات الأخرى. فهو بذلك يدعو إلى ضرورة إعادة النظر في تصوّر اللغة العربية، والبحث في خصائصها من أجل ابتكار مناهج جديدة كفيلة بتطويرها.

• ذرّات اللغة العربية وهندستها:

هو مؤلف موجّه إلى طلبة اللسانيات، والباحثين في اللغة العربية عامّة¹⁵، عالّج فيه قضايا جديدة ن وجوهريّة في اللسانيات العربيّة تتعلّق بمجالّي النّحو الدّلالة، وذلك من خلال البحث في ذرّات الأسماء، وذرّات الأحداث، والأفعال، وسماتها، وعلائقها، وهندستها¹⁶.

• أزمة اللغة العربيّة في المغرب بين اختلالات التعدّدية وعثرات الترجمة:

عالّج الفهري من خلال هذا المؤلّف قضية حسّاسة وخطيرة تتعلّق بواقع اللغة العربيّة في مستويات عدّة واصفا إيّاها بالأزمة، حيث تمس هذه الأخيرة مستويات عدّة كالّتعليم، الإدارة، الاقتصاد، الإعلام... إلخ. كما حاول تقديم حلول عملية لتجاوز الاسلاب الفكري واللغوي والكولونيالي، مع تقديم نظرة بنائية لتعدد اللغوي، كما أبرز فوائد الترجمة في المشروع الثقافي العام¹⁷.

• البناء الموازي:

درس الفهري من خلال هذا الكتاب بناء الكلمات والجمل العربيّة من منظور نظريّة العاملي، فبحث خصائص المقولات التركيبية" من أجزاء الكلام إلى المقولات النحوية الوظيفية مثل الزمن، والجهات، والموجهات، والنفي، والتطابق، والحد، إلى غاية تركيبها في الجملة"¹⁸. كما ركز اهتمامه على قضايا أخرى كاللواصق في علاقاتها الاشتقاقية¹⁹.

خاتمة:

لقد حاولنا في هذه الورقة البحثية المعنونة بـ: خلفيات التلقي المغربي للسانيات الغربية تتبع أهمّ أعمال اللساني المغربي عبد القادر الفاسي الفهري، والتي تعدّ من أهمّ المرجعيّات العربيّة التي ساهمت بشكل كبير في تطوير الدّراسات اللسانية العربيّة.

فمن خلال عرضنا الموجز لأهم مؤلفاته يتبين لنا مدى مساهمة هذا اللغوي في دفع عجلة تطور الدراسات اللسانية وحسن استغلاله لما جادت به النظريات اللسانية الغربية محاولا تطبيقه على اللغة العربيّة. كما كان يدعو في جلّ أعماله إلى تبني النظريات الحديثة و تطبيقها فيما يخدم اللغة العربيّة.

الهوامش:

¹- عبد القادر الفاسي الفهري، اللغو والبيئة، دط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، تونس، 2002، ص 2.

²- المرجع نفسه، ص 2.

³- أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللغة العام، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1995، ص 162.

⁴- جعفر سامسون، مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، تر محمد زياد كبه، جامعة الملك سعود، ص 154.

⁵- المرجع نفسه، ص 146.

⁶- عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم وبنيتة وبنية المداخل المعجمية، 1986، ص 24.

⁷- عبد الرحمان الحاج صالح، اللغة العربيّة وتحديات العصر في البحث اللغوي وترقية اللغات، ص 25.

⁸- ينظر، عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربيّة، ص 33.

⁹- عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي، ص 6-7.

¹⁰- المرجع نفسه، ص 6-7.

-
- ¹¹- عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي، ص 6-7.
- ¹²- عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللسانية، ص 6.
- ¹³- عبد القادر لفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 3.
- ¹⁴- عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللسانية، ص 7.
- ¹⁵- ينظر، عبد القادر الفاسي الفهري، ذرات اللغة العربية، وهندستها/ دراسة استكشافية أدنوية، دار لكتاب الجديد المتحدة، بيروت، بيروت، ص مقدمة الكتاب.
- ¹⁶- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- ¹⁷- ينظر، عبد القادر الفاسي الفهري، أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعددية و تعثرات الترجمة، منشورات زاوية لفن والثقافة، ط1، 2005، ص مقدمة الكتاب.
- ¹⁸- عبد القادر الفاسي الفهري، البناء الموازي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1990، ص 7.
- ¹⁹- ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.